مختصر

«نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتقاد»

لنـاظـمها: أبي بكر ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(230 – 316 هـ)

اختصره:

الصـغيّـر بـن عـمّـــار

-غفر الله له ولوالديه-

النسخة الأولى

1441

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المختصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد، فقد يسَّر الله لي –بفضله– شرح «المنظومة الحائية» لصاحبها الحافظ أبي بكر ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ (230–316هـ)، وسميت كتابي: «**نهج الاقتصاد شرح حائية الاعتِقاد**»[1].

ولما كان فيه نوعُ طول قد يحول دون الاستفادة منه، عَمدتُ إلى اختصاره في هذه الورقات لعل الله ينفع به، فكم من مُختَصَر فاق أصلَه شُهرةً ونفعا، والأمثلة على هذا كثيرة معلومة.

وكل ما في هذا المختصر موجود في أصله، فمن رام التفصيل فيُراجعه[2]، واللهُ المسؤولُ أن يتقبَّل مني صالح العمل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وكتب

الصغيّـر بن عمّـار

ليلة السبت 09 من جمادى الأول لعام 1441

الموافق لـ 04 جانفي 2020 بمدينة «ليون» بفرنسا

1- وقد تم نشره عبر الشبكة، ورابطه من هنا : https://bit.ly/2QiV7nh

2- ورابط الشرح الصوتي من هنا: https://bit.ly/30Dx0D9

نص المنظومة

قال الحافظ الثقة أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

تَمسَّـــكْ بحَبْـــلِ اللهِ واتَّبِـــعِ الهُـــدَى ... ولا تَـــكُ بِـــدْعِيًّا لَعلَّـــكَ تُفْلِـــحُ

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ والسُّـــنَنِ التِـــي ... أَتَـــتْ عَـــن رَسُـــولِ اللهِ تَـــنْجُ وَتَـــرْبَحُ

وَقُـــلْ غَيْـــرُ مَخْلُـــوقٍ كَـــلامُ مَليكِنَـــا ... بِـــذلكَ دَانَ الأَتْقِيـــاءُ وأَفْصَـــحُوا

وَلا تَـــكُ فِـــي القُـــرْآنِ بِـــالوَقْفِ قَـــائِلاً ... كَمَـــا قَـــالَ أَتْبَـــاعٌ لِجَهْـــمٍ وَأَسْـــجَحُوا

ولا تَقُـــلِ القُـــرآنُ خَلْـــقٌ قرأتُـــهُ ... فَـــإِنَّ كَـــلامَ اللهِ بِـــاللفْظِ يُوضَـــحُ

وَقُـــلْ يَتَجلَّـــى اللهُ للخَلْـــقِ جَهْـــرةً ... كَمَـــا البَـــدْرُ لا يَخْفَـــى وَرَبُّـــكَ أَوْضَـــحُ

وَلَـــيْسَ بِمَوْلُـــودٍ ولَـــيسَ بِوَالِـــدٍ ... وَلَـــيسَ لَـــهُ شِـــبْهٌ تَعَـــالَى المسَـــبَّحُ

وَقَـــدْ يُنكِـــرُ الجَهْمِـــيُّ هَـــذا وعِنْـــدَنَا ... بِمِصْـــدَاقِ مـــا قُلْنَـــا حَـــدِيثٌ مُصَـــرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيـــرٌ عـــن مَقَـــالِ مُحمَّـــدٍ ... فَقُـــلْ مِثْـــلَ مـــا قَـــدْ قَـــالَ في ذَاكَ تَـــنْجَحُ

وَقَـــدْ يُنكِـــرُ الجَهْمِـــيُّ أَيضًـــا يَمِيْنَـــهُ ... وَكِلْتَـــا يَدَيْـــهِ بالفواضِـــلِ تَـــنْفَحُ

وَقُـــلْ يَنْـــزِلُ الجَبَّـــارُ في كُـــلِّ لَيْلَـــةٍ ... بِـــلا كَيْـــفَ جَـــلَّ الواحِـــدُ المتَمَـــدِّحُ

إلى طَبَـــقِ الـــدُّنيا يَمُـــنُّ بِفَضْـــلِهِ ... فَتُفْـــرَجُ أَبْـــوابُ السَّـــماءِ وتُفْـــتحُ

يقُـــولُ ألاَ مُســـتَغفِرٌ يَلـــقَ غـــافِراً ... ومُســـتَمْنِحٌ خـــيراً ورِزقـــاً فيُمْـــنَحُ

رَوَى ذاكَ قَـــومٌ لا يُـــرَدُّ حَـــدِيثُهم ... ألا خَـــابَ قَـــوْمٌ كـــذَّبوهُم وقُبِّحُـــوا

وَقُـــلْ إِنَّ خَيْـــرَ النَّـــاسِ بَعْـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... وَزِيـــراهُ قِـــدْمًا ثُـــمَّ عُثْمَـــانُ الارْجَـــحُ

وَرابِعُهُـــم خَيْـــرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُم ... عَلِـــيٌّ حَلِيـــفُ الخَـــيرِ بـــالخَيرِ مُـــنْجِحُ

وإِنَّهُـــمُ للـــرَّهْطُ لا رَيْـــبَ فِـــيْهِمُ ... عَلَـــى نُجُـــبِ الفِـــرْدَوْسِ بـــالنُّورِ تَسْـــرَحُ

سَـــعِيدٌ وسَـــعْدٌ وابـــنُ عَـــوْفٍ وطَلْحَـــةٌ ... وعَـــامِرُ فِهْـــرٍ والزُّبَيْـــرُ المُمَـــدَّحُ

وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... ولا تَكُ طَعَّاناً تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ
وبالقَدَرِ المقْدُورِ أيقِنْ فإنَّهُ ... دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ
وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً نَكِيرًا ومُنْكَراً ... وَلا الحَوضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ
وقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بفَضلِهِ ... مِنَ النارِ أجْسادًا مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهرِ في الفِردوسِ تَحْيا بمَائِهِ ... كَحِبِّ حَميلِ السَّيْلِ إذ جَاءَ يَطْفَحُ
وإنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلقِ شَافِعٌ ... وقُلْ في عَذابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ
ولا تُكْفِرَنْ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوْا ... فكلُّهُمُ يَعْصِي وذو العَرشِ يَصْفَحُ
ولا تَعتقِدْ رأيَ الخَوارجِ إنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ
ولا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بدينِهِ ... ألا إنَّمَا المُرْجِيُّ بالدِّينِ يَمْزَحُ
وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَوْلٌ ونيَّةٌ ... وفِعْلٌ عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ
ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمَعَاصِي وَتَارةً ... بطَاعَتِهِ يَنْمِي وفي الوَزْنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم ... فقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أزكى وأشْرَحُ
وَلا تَكُ مِن قومٍ تَلَهَّوْا بدينِهِم ... فَتَطْعنَ في أَهلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ
إذا ما اعتقدْتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هذِه ... فَأَنتَ عَلَى خَيْرٍ تَبيتُ وتُصْبِحُ

بداية المختصر

مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ
وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ

قوله: (تَمسَّكْ بحَبْلِ اللهِ)، أي: يا أيها المسلم السني المتبع لطريقة السلف الصالح، اعتصم وتعلَّق (بحَبْلِ اللهِ)، كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والمراد بـ (بحَبْلِ اللهِ) **هنا القرآن**، بدلالة السياق، لأنه جاء بعده ذكرُ السنة، فقال: (واتَّبِع الهُدَى)، أي: سنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومنهاجه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا تَكُ بِدْعِيًّا لَعلَّكَ تُفْلِحُ)، فبعد أن نصح القارئ بالإقبال على السنة، حذره من الرُّكون إلى ضِدِّها وهو البدعة.

والشريعة مبنية على النفي والإثبات، ومن ذلك كلمة التوحيد فهي متكونة من شطرين: «لا إله» وهو النفي، و«إلا الله» وهو الإثبات. فكذلك، يجب علينا أن نقبل على السنة، وذلك لا يكون إلا برد البدعة، ولهذا قال: (ولا تَكُ بِدْعِيًّا)، أي: صاحب بدعة، قولًا وعملًا واعتقادًا، نابذًا للكتاب والسنة ومخالفا لمنهج السلف رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.

وقوله (ولا تَكُ)، أي: لا تكُن، والنون حُذفت تخفيفا، وقوله: (بِدْعِيًّا)، اسم فاعل من البدعة، وهي: «**ما أُحدِثَ في الدِّينِ مِمَّا لَيس مِنه بِقَصد التَعَبُّد**».

فمن اتبع الكتاب والسنة، وترك ما ينافيهما من الشرك والبدع والمحدثات، فهو الناجي في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: (لَعلَّكَ تُفْلِحُ).

وقوله: (لَعلَّكَ)، تحتمل أمرين:

- **التحقيق**: لأنَّ من تمسك بالكتاب والسنة سيفلح حتما، بالنظر إلى النوع.
- **أو الترجِّي**: بالنظر إلى المُعيَّن، إذ لا يمكن الجزم لأحد بتحقق الفلاح بغير نص.

والفلاح هو جماع الخير في الدنيا والآخرة، فقوله: (لَعلَّكَ تُفْلِحُ)، أي: عساك تظفر بكل خير في الدنيا والآخرة.

ثم قال: (وَدِنْ بِكِتَابِ الله)، أي اجعله دينك الذي تدين الله به قائما على (كِتَابِ الله)، الذي من تمسك به اهتدى، ومن حاد عنه ضل وغوى، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤].

وفي قول الناظم: (وَدِنْ بِكِتَابِ الله)، إشارة إلى أن كتاب الله متواتر قطعي الثبوت، ولا يختلف فيه المسلمون.

وقوله: (والسُّنَنِ)، السنن: جمع سنة، والمقصود بها: ما نُقل عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من قوله وفعله وتقريره. وفي قوله: (أتتْ عن رَسُولِ الله) إشارة إلى أن العقيدةَ تُؤخَذُ من السنة الصحيحة، آحادا كانت أو متواترة، لأنَّ الكتاب تكفَّل اللهُ بحفظه فلا يُزاد فيه شيء، بل لو زيد فيه حرف لعرفه صبيان المسلمين، أما السنة فقد زيد فيها ما زيد، وإن كانت داخلةً في النهاية في جملة قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].

ثم ذكر جزاء الذي تمسك بالكتاب والسنن الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (تَنْجُ)، ولكنه لم يبيِّن الأمر الذي ينجو منه السني بهذه الاستقامة على الوحيين، والجواب أن يقال: إن أهلَ السنة يُسَمَّون بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية، **ونجاتهم من جهتين:**

- **الأولى: نجاتهم في الدنيا:** من البدع والشبهات والمسالك المنحرفة التي تؤدي إلى الحيرة والضياع، مع ضيق الصدر، وعدم تيقن القلب طمأنينته.
- **والثانية: نجاتهم في الآخرة،** وذلك يكون بالنجاة من عذاب الله يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾[الأعراف: ١٧٠].

ثم قال: (وَتَرْبَحُ)، **وهذا يكون بأمرين:**

- **الأول: الربح في الدنيا:** بالاهتداء والثبات على طريق الحق، وهذا أمر عزيز سيما في زمان الفتنة، وضعف السنة، وتكالب أهل الكفر والأهواء على أهل المنهج الحق.
- **والثاني: هو الربح في الآخرة،** وذلك بدخول جنة عرضها السموات والأرض، أعدها الله لعباده المتقين، وعلى رأسهم أهل السنة والحديث.

وعلى هذا، **فيكون** قولُه: (تنجُ) **من باب التخلية،** وقولُه: (تربح) **من باب التحلية.**

مسألة الكلام

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُـلْ غَيْـرُ مَخْلـوقٍ كَـلامُ مَليكِنـا ... بِـــذلكَ دَانَ الأتْقِيـــاءُ وأَفْصـــحُوا

وَلا تَكُ فِـي القُـرْآنِ بـالوَقْفِ قَـائِلاً ... كَمَـا قَـالَ أتْبَـاعٌ لِجَهْـمٍ وَأَسْـجَحُوا

ولا تَقُــلِ القُــرآنُ خَلــقٌ قرأتُــهُ ... فــإنَّ كَــلامَ اللهِ بـــاللَّفْظِ يُوضَــحُ

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقُلْ غَيْرُ مَخْلوقٍ كَلامُ مَليكِنا)، أي: قل يا صاحب السنة إن كلام الله جل وعلا غير مخلوق. والمليك هو الله، فهو مالِك مَلِك مَلِيك، له الملك كله سبحانه.

فالقرآن غير مخلوق، ولهذا فرَّقَ الله جَلَّجَلَالُهُ بين الخَلق والأمر بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤]، والقرآن من الأمر لقوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

يقول العلامة ابن عدّود رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

ألا لَـــهُ الخلـــقُ والأمـــر، العَطْـــفُ دَلْ ... أنْ لَـيسَ خَلْقَـاً مَـا مِـنَ الأمـر نَـزَلْ

قال: (بِذلكَ دَانَ الأتْقِياءُ وأَفْصحُوا) أي: بهذا الاعتقاد آمن وصدَّق وتَعَبَّد (الأتْقِياءُ) جمع تقي: وهو الذي جعل بينه وبين الله وقاية بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وتصديق خبره. ووصفَ الناظمُ أهلَ السنة بأنهم أتقياء، لأنهم اتقوا الشهوة بالصبر، واتقوا الشبهة باليقين، وبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

1- «مجمل اعتقاد السلف» (ص 21).

قال: (**وأَفْصحُوا**) أي: صرَّحوا وقرروا وأبانوا، بلا مداهنة ولا مجاملة، لأنهم صادقون في هذه العقيدة، يؤمنون بها سرا وعلانية، ليس عندهم ازدواجية، ولا تقلب، بخلاف أهل الأهواء الذي هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجانبون للحق والصواب.

يقول العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في قول الله تعالى: ﴿**قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ**﴾[آل عمران: ٨٤]، الآية: «**في قوله: (قُلْ) إشارة إلى الإعلان بالعقيدة والصدع بها** والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه». انتهى.

وأهلُ السنة والجماعة يقولون: إن الله جلَّ وعلا يتكلَّمُ، وكلامه غير مخلوق، لأن الكلام صفةٌ ذاتيَّة له من حيثُ النَّوع، لا تَنفَكُّ عنه بحالٍ من الأحوال، فإنَّه لم يَزَل مُتَكَلِّمًا، وهي صفةٌ فِعليَّةٌ له من حَيثُ الأفراد، فإنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ يتكلَّمُ بمشيئَته وقدرته، فيتكلَّمُ بما شاءَ، متى شاء، كيفَ شاء، والكلامُ صِفَة قائمَةٌ به تعالى، فلا تقُوم بغيره خلافًا لأهل البدع، وكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَسموعٌ بالآذان حَقيقَةً من غير تَوَهُّمٍ، والقرآن كلام الله حقيقَةً، لَفظًا ومعنًى، وكما أنَّ الله ليسَ كمثله شيء، فكذلك كلامه ليسَ ككلام خَلقه، وصَوتُه تعالى ليسَ كأصواتِ خَلقِه.

1- «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» (ص 14).

التحذير من مذهب الواقفة في كلام الله

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلا تَكُ فِـي القُـرْآنِ بـالوَقْفِ قَـائِلاً   كَمَـا قَـالَ أتْبَـاعٌ لِجَهْـمٍ وَأَسْـجَحُوا

أي: يا صاحب السنة لا تتوقف في القرآن، لأن الوَقف مسلك الجهمية الذين قالوا: «لا نقول هو مخلوق، ولا غير مخلوق». وفي الحقيقة، الذي يقول هذا لم يعتقد أن كلام الله غير مخلوق، **ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب: إنه غير مخلوق**، لأن هذه العقيدة لا يَشُكُّ فيها المؤمن، بل يَجزم ويصرح بها، لأنَّ الحقَّ فيها ظاهر كالشمس في رابعة النهار.

والواقفة شر من الجهمية، لأنهم شكوا في الله، واستمالوا بهذا القول العامة، ولبَّسوا عليهم.

ولهذا قال الناظم: (كَمَا قَالَ أتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا)، ومعنى (أَسْجَحُوا)، أي: لانت أنفسهم بهذا القول وسهلت ألفاظهم به، وفي نسخة (**وأَسْمَحُوا**)، أي سمحت أنفسهم بهذا القول، فانقادت له، فتابعته، وهو قريب من معنى (أَسْجَحُوا).

فأهل السنة أفصحوا بالحق، وهؤلاء أسجحوا بالباطل، ففرَّق الناظم بين اللفظين لِما يُعلم من الفرق بين الطائفتين.

التحذير من مذهب اللَّفظية والألفاظ المجملة عامة

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَقُــلِ القُــرآنُ خَلــقٌ قرأتُــهُ فــإنَّ كَــلامَ اللهِ بــاللفْظِ يُوضَــحُ

أي: لا تقل يا صاحب السنة: إن قراءتي أو لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لفظ مجمل لا يليق بأهل السنة الذين يصرحون بعقيدتهم، ويعبرون عنها بالألفاظ الواضحة التي لا لبس فيها، (**فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ**)، **وكلام الله هو اللفظ والمعنى**، فالمعنى غير مخلوق، واللفظ غير مخلوق، **فإذا قلنا: اللفظ غير مخلوق، رددنا على الكلابية والأشاعرة والماتريدية**، لأنهم قالوا: القرآن الذي بين أيدينا ألفاظه مخلوقة، ومعناه النفسي القديم غير مخلوق، **وإذا قلنا: المعنى غير مخلوق، رددنا على الجهمية والمعتزلة**، القائلين صراحة بخلق القرآن، وأن كلامه سبحانه شيء منفصل عنه، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرا.

ومذهب اللفظية أنكره أهل السنة، **لأنَّ من القواعد الشرعية: البُعدَ عن الألفاظ المجملة والمُشتبهة، إذ هي أصل ضلال بني آدم، لأنَّها حمالة وجوه، وعُرضةٌ للمُحِق والمُبطِل، يَسهُل بها إنفاق الباطل بين الناس، ولا سيما إذا صادفت أذهانا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب!؟** [1]

فمن قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»:

- **فإما أن يقصد اللفظ أي حقيقة التلفظ** وحركة اللسان والصوت، **وهذا مخلوق.**
- **وإما أن يقصد به الملفوظ** أي المقروء، **وهذا غير مخلوق**، لأنه كلام الله.

1- انظر: «شرح الطحاوية» (ص 37، 138، 263)، لابن أبي العز.

صفة التجلي ورؤية الله يوم القيامة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُـلْ يَتجلَّـى اللهُ للخلْـقِ جَهْـرةً كَمَـا البـدْرُ لا يَخفـى وَرَبُّـكَ
وَلَـيْسَ بمْولُـودٍ ولـيسَ بِوَالِـدٍ وَلَـيسَ لـهُ شِـبْهٌ تَعَـالَى المسَـبَّحُ
وَقَـدْ يُنكِـرُ الجَهْمـيُّ هَـذَا وعِنْـدَنَا بـمِصْدَاقِ مـا قُلنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ
رَوَاهُ جَرِيـرٌ عَـنْ مَقَـالِ مُحمَّـدٍ فقُلْ مِثْلَ مـا قَـدْ قَـالَ في ذَاكَ تَـنْجَحُ

قوله: (وَقُلْ يَتَجلَّى اللهُ)، وهذا بيان لصفة التجلي، فإن الله يُرى ويتجلى لخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كيف يشاء.

وقوله: (وَقُلْ يَتجلَّى اللهُ للخَلْقِ جَهْرةً)، الـ(أل) في كلمة «الخلق» دخلت على المفرد فتفيد العموم، أي: عموم الخلق، ولكن المصنف لا يريد عموم الناس هنا، فيكون قوله: (للخَلْقِ) مقصودا به بعضُ الخلق، لأننا نقطع بأن الكفار محجوبون عن الله، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

ووقوله: (جَهْرةً)، أي: بأمر واضح بيِّنٍ جِهاراً، (كَمَا البدْرُ لا يَخفى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ)، فشبه الرؤية بالرؤية، في وضوحها وعدم التباسها، (وَرَبُّكَ أَوْضَحُ) أي: أنَّ رؤية المؤمنين لربهم أوضح من رؤيتهم للبدر، فإن البدر إذا رأيناه لا نشك فيه، وكذلك رؤية الله جل وعلا، بل ستكون أوضح وأعظم وأبعد عن كل شك.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَـــيْسَ بمَوْلُـــودٍ ولـــيسَ بوَالِـــدٍ وَلَـــيسَ لَــهُ شِــبْهٌ تَعَــالَى المسَــبَّحُ

في هذا البيت تنزيه لله سبحانه، وأنه غير مماثل لخلقه، وهذا البيت ربما استشكله طالب العلم، وظنه مدرجا وسط الكلام عن الرؤية، والجواب كما قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولما كان ربما توهم متوهم من لازم التجلي والانكشاف والرؤية الجسمية بالقياس على ما هو معاين من المخلوقين قياسًا للغائب على الشاهد دفع ذلك الوهم بقوله: (**وليس**) الله تبارك وتعالى (**بمولود**) ولده والد (**وليس**) هو تقدس وتعالى (**بوالد**) لشيء من المولدات ولا الملائكة ولا عيسى بن مريم، ولا العُزَير عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ولا غيرهم (**وليس له**) سبحانه (**شِبه**) لا في ذاته المقدسة، ولا في صفاته المنزهة، ولا في أفعاله سبحانه، (**تعالى**)، ارتفع قدره وتقدس (**المسبَّح**) أي المنزَّهُ عن أن يكون والدا لشيء أو مولودًا في شيء، أو شبيهًا لشيء، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس له شبيه، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله». انتهى.

وَقَــدْ يُنكِـرُ الجَهْمِــيُّ هَــذَا وعِنْـدَنَا بِــمِصْدَاقِ مـا قُلنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرِّحُ

(**وقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ هذا**)، والإشارة في (**هذا**) تعود على ما قبلها، أي هذه الرؤية، فإنَّ الجهميَّ يزعم أنَّ الله لا يُرى، كما يزعم أنَّ الله لا يُحِب ولا يُحَب، فخلت قلوبهم من محبة الله، وحقيق بهم أن يُحرموا من رؤية الله، جَلَّجَلَالُهُ.

و(**الجَهْمِيُّ**) هنا لقب يدخل فيه أهل البدع الذين أنكروا رؤية الله، من الجهمية

1- «لوائح الأنوار السنية» (1/ 276).

والمعتزلة وغيرهم، (**وعِنْدَنَا**) أي أهل السنة، (**بـمِصْدَاقِ ما قُلنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ**)، وفي هذا تأكيد لما قرره الناظم في أول نظمه من الاهتمام بمصادر التلقي، فكل ما يقرره أهل السنة لهم فيه دليل، لأنهم ظاهرون بالحجة والبرهان في كل زمان، بخلاف ظهورهم بالسيف والسنان، فإنه كائن في بعض الأزمان دون بعض.

ثم قال الناظم مدَلِّلا على قوله الحق في الرؤية، ورادا على الجهمية باطلَهم: (**وعِنْدَنَا بـمِصْدَاقِ**) أي تصديقاً لما قلنا، (**حدِيثٌ مُصَرِّحُ**)، وجاء في بعض النسخ (**مُصَحَّحُ**)، وكلاهما صحيح، فهو حديث صحيح سنداً وروايةً، صريح متناً ودرايةً، فلا يشك فيه إلا ظالم، وإلا فهو واضح بيِّن، وهذا الحديث:

رَوَاهُ جَرِيـــرٌ عـــن مَقَـــالِ مُحمَّـــدٍ فقُلْ مِثْلَ مـا قَـدْ قَـالَ في ذَاكَ تَـنْجَحُ

(**رَوَاهُ جَرِيرٌ**)، أي: جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي روى حديث الرؤية، (**عن مَقَالِ مُحمَّدٍ**) أي: يرويه عن النبي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فهو حديث مرفوع.

و(**جَرِيرٌ**): **هو الصّحابي الشهير جرير بن عبد الله بن جابر البجلي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(**فقُلْ مِثْلَ ما قَدْ قَالَ في ذاكَ**)، أي: اقتفِ أثر جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي نقل هذا عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، (**تَنْجَحُ**)، والنجاح ضده الفشل، وهو الفوز وضده الخسران، فمن تمسك بهذا الأثر واعتقد معناه فإنه بلا شك ناجح رابح.

وحديث جرير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو قوله: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ**

غُرُوبِهَا» - يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].[1]

ومعنى: «**لَا تُضَّامُونَ**»: بالتَّشديد، أي: لا تجتمعون لرؤيته في جهة، ولا يَنضَمُّ بعضُكم إلى بعض (لوضوح الرؤية)، وفي روايات أخرى في «الصحيح»: «**هَلْ تُضَارُّونَ**»: من الضَّرر، أي لا يضر بعضُكم بعضا بمنازعة أو جدال أو بحجب عن الرؤية، أو حين تتضارُّون بالتزاحم للتأكد من الرؤية؛ وروي: «**هَلْ تُضَامُونَ**»: من الضَّيم، وهو الظلم، فلا تُظلمون فيه برؤية بعضِكم دون بعض؛ وروي: «**هَلْ تُضَاهُونَ**»: أي لا يشتبِه عليكم ولا تَرتابون فيه فيعارضَ بعضُكم بعضا.[2]

1- رواه البخاري (554، 573، 4851، 7434)، ومسلم (633)، بألفاظ متعددة.

2- انظر: «فتح الباري» (11/ 543-544، 13/ 526)، و«الفتاوى» (16/ 85-86).

صفة اليدين لله سبحانه

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواصلا تقرير عقيدة أهل السنة في صفات الباري سبحانه:

وَقَــدْ يُنكِــرُ الجَهْمِــيُّ أيضًــا يَمِينَــهُ وكِلْتَــا يَدَيْــهِ بالفواضِــلِ تَــنْفَحُ

قوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا) أي مع ما أنكر من كلام الله وتجليَّه لخلقِه يُنكر الجهمي -تابع الجهم بن صفوان من فرق المعطلة- أيضاً (يَمِينَهُ)، أي: يمينَ الله جل وعلا، (وكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ)، جمع فاضلة، وهي النعم الجسيمة، (تَنْفَحُ)، أي تعطي وتتفضَّل، من النفح والعطاء، وفي بعض النسخ: (تَنْضَحُ)، من النَّضح، وهو الرَّشُّ والسَّقي، والكل بمعنى كثرة العطاء وجزيل المنِّ والكرم، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في «رسالة إلى أهل الثغر»[1]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأجمعوا على أنه ﷻ يَسمعُ ويَرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين**». انتهى

وفي قول الناظم هنا: (يَمِينه)، إثبات اليمين لله تعالى، كما جاء مصرحا به في قوله تعالى: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

وجاءت الأحاديث تارة بإثبات الشمال لله [2]، وأخرى بأن كلتي يديه يمين.[3]

والجمع بين هذه الأحاديث أن يُقال: **إن يدي الرحمان يمين وشمال من حيث**

1- (ص 127).

2- رواه مسلم (2788).

3- رواه مسلم (1827).

الحقيقة والاسم، إلا أنهما من جهة القوة والعطاء والشرف والكمال كلتاهما يمين مباركة، ولكن لما كان الوهم ربما يذهب إلى أن إثبات الشمال يعني النقص في هذه اليد وأنها دون الأخرى، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**».[1]

1- انظر: «فتاوى ابن تيمية» (17/ 92)، و«فتاوى ابن باز» (25/ 126)، و«فتاوى ابن عثيمين» (1/ 165).

صفة النزول لله سبحانه

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُـلْ يَنْـزِلُ الجَبَّـارُ في كُـلِّ لَيْلَـةٍ ... بـلا كَيْـف جَـلَّ الواحـدُ المتَمَـدِّحُ
إلى طَبَـقِ الـدُّنيا يَمُـنُّ بفَضْـلِهِ ... فَتُفْـرَجُ أَبْـوابُ السَّـماءِ وتُفْـتحُ
يقُـولُ ألاَ مُسـتَغفِرٌ يَلـقَ غـافِراً ... ومُسـتَمْنِحٌ خـيراً ورِزقـاً فيُمْـنَحُ
رَوَى ذاكَ قَـومٌ لا يُـرَدُّ حَـدِيثَهم ... ألا خَـابَ قَـوْمٌ كـذَّبوهُم وقُبِّحُـوا

فقوله: (وَقُل) يا صاحب السنة بلسانك معتقدا بقلبك (يَنْزِلُ الجَبَّارُ) سبحانه، نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته وجبروته، كما تواترت بذلك النصوص الشرعية والآثار السلفية، وهذا النزول يكون (فِي كُلِّ لَيْلَةٍ)، ولا يختص بليلة دون أخرى.

ونزوله جَلَّجَلَالُهُ من أدلة علوه على خلقه سبحانه، قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تكلَّم على حديث النزول[1]: «**فيه دليلٌ على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة**، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان». انتهى.

و(الجَبَّارُ) من أسماء الله الحسنى، **وهو متضمن لمعنى الرؤوف والقهار والعلي والمتكبر**.

وهذه المعاني الأربعة مناسبة للمعنى الذي قرره الناظم في هذه الأبيات، وتوضيحه:

1- «التمهيد» (7/ 128-159).

- أنَّ النزول الإلهي دال على علوه سبحانه.
- وهذا النزول الإلهي لائق بعظمة الله وكبريائه، فلا يماثله فيه أحد.
- وأنَّ هذا النزول من رحمة الله ورأفته بخلقه.
- كما أن استجابته سبحانه للمؤمنين من آثار قوته وقهره.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفا هذا النزول الإلهي بأنه (**بلا كَيْف جَلَّ الواحدُ المتَمَدِّحُ**)، فالله جل وعلا ينزل في الثلث الآخر من كل ليلة، (**بلا كَيْف**)، وليس معنى هذا: بلا كيف موجود، إذ الشيء الذي لا كيف له لا وجود له، وإنما مقصود الناظم (**بلا كَيْف**) نعلمُه فنتحدثَ به، لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، (**جَلَّ الواحدُ**)، أي: عَظُمَ وتقدس وتبارك، (**الواحدُ**) الموصوف بصفات الوحدانية ونعوت الفردانية، في ذاته وصفاته وأفعاله، (**المتَمَدِّحُ**)، أي: الذي يُحب المدح، وفي الحديث: «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ المدحُ مِنَ اللهِ**».[1]

وهذا النزول يكون (**إلى طَبَقِ الدُّنيا**)، أي: إلى السماء الدنيا، التي هي طبق الأرض، و(**الدُّنيا**) أي: القريبة إلى الأرض.[2]

وفي هذا النزول (**يَمُنُّ بفَضْلِهِ**)، والمِنَّة: هي النعمة العظيمة، التي يعطيها الله لعباده (**بفَضْلِهِ**)، أي: بمحض تكرُّمه وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، (**فَتُفْرَجُ أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ**)، أي: فتكشف وتنشق وتنصدع (**أَبْوابُ السَّماءِ وتُفْتَحُ**) لنزول المِنَح الإلهية

1- رواه البخاري (4634)، ومسلم (2760)، واللفظ له.

2- «لوائح الأنوار» (1/ 332).

منها والرحمة والمغفرة، وصعود العمل والدعاء إليه سبحانه، فيستجيب ويغفر ويعطي ويتفضل، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقُــولُ ألاَ مُســتَغفِرٌ يَلــقَ غــافِراً ومُســتَمْنِحٌ خــيراً ورِزقــاً فيُمْــنَحُ

وقوله: (**ألاَ مُستَغفِرٌ**) أي طالبٌ غفرانَ ذنوبه، (**يَلقَ**) مجزوم بحذف الألف في جواب الطلب، و(**غافِراً**) مفعول لـ(**يَلقَ**)، والجملة خبر المبتدأ الذي هو (**مُستَغفِر**).[1]

ومعنى (**مُستَمْنِح**) أي: مستعطٍ، وطالب (**خيراً ورِزقاً فيُمْنَحُ**).

وعليه، **فيكون الناظم قد جمع في هذا البيت أمرين يحصلان للذين يسألون اللهَ تعالى في الثلث الآخر من الليل:**

- **الأمر الأول**: غفران الذنوب، اقتباسا من قوله تعالى: «**مَنْ يَستَغْفِرُنِي فَأَغفِرَ له**»، وهذا من باب درء المفاسد.
- **والأمر الثاني**: منح الفضائل والأرزاق، اقتباسا من قوله تعالى: «**مَنْ يَسأَلُنِي فأُعْطِيَه**»، وهذا من باب جلب المصالح.

رَوَى ذاكَ قَــومٌ لا يُــرَدُّ حَــدِيثَهم ألا خَــابَ قَــوْمٌ كــذَّبوهُم وقُبِّحُــوا

قوله: (**رَوَى ذاكَ**)، أي: روى هذه الأحاديث الصحيحة (**قَومٌ**) من أعلام الحديث ومصابيح الهدى، (**لا يُرَدُّ حَدِيثَهم**)، لا من جهة الأسانيد، فإنها أحاديث متواترة، ولا من جهة المتن، فهي أحاديث صريحة في أن الذي ينزل هو الله حقيقة، على الوجه اللائق به، ليس رحمته ولا ملائكته، فكل هذا تأويلات منكرة، احتوت على معانٍ فاسدة.

1- انظر: «لوائح الأنوار» (1/ 335).

قال الإمام ابن عبد البر المالكي في شرح «حديث النزول»[1]: «**هذا حديث ثابتٌ من جهة النقل، صحيحُ الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته**، وهو منقول من طرق سوى هذه، من أخبار العدول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

ولهذا قال الناظم: (**ألا خَابَ قَوْمٌ كذَّبوهُم وقُبِّحُوا**)، أي: خاب وخسر من رد هذه الأحاديث، وخالف طريقة أهل السنة والحديث، ومعنى (**خَابَ**)، من الخَيْبَة وهي فوت الطلب، (**وقُبِّحُوا**)، من القُبح وهو ضد الحسن، وهذا دعاء عليهم.

1- «التمهيد» (7/ 128-159). وانظر: «العلو» (ص 218)، للذهبي، و«معارج القبول» (1/ 301).

عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام

مبحث الصحابة ليس له علاقة مباشرة بأصول الإيمان الستة التي تنبني عليها عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ولكن صار حب الصحابة شِعاراً لأهل السنة، تميزوا به عن غيرهم من الفئات الضالة كالنواصب والروافض وغيرهم.

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُـلْ إنَّ خَيْـرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ ... وَزِيـراهُ قِـدْمًا ثُـمَّ عُثْمَـانُ الارْجَـحُ

وَرابعُهُـــم خَيْـــرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُم ... عَلِـيٌّ حَليـفُ الخَـيرِ بـالخَيرِ مُـنْجِحُ

وإنَّهـــمُ للـــرَّهْطُ لا رَيْـــبَ فِـــيْهِمُ ... عَلَــى نُجُــبِ الفِــرْدَوْسِ بــالنُّورِ

سَعِيدٌ وسَـعْدٌ وابـنُ عَـوْفٍ وطَلْحَـةٌ ... وعَـــامِرُ فِهْــرٍ والزُّبَيْــرُ المُمَــدَّحُ

فقوله: (**وَقُل إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ**) أي: إن خير البشر، وأفضل الإنس والجن بعد النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم خصص منهم قومًا، وهؤلاء هم العشرة المبشَّرون بالجنة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأفضل العشرة أربعة، وهم الخلفاء الراشدون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وأفضل الأربعة رجلان، وهما (**وَزِيراهُ**)، وهما أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، (**قِدْمًا**) أي: من أول الأمر وأول هذه الدعوة والبعثة النبوية.

(**ثُمَّ**) بعد أبي بكر وعمر في الفضل (**عُثْمَانُ**) ابن عفان، (**الارْجَحُ**)، بالتخفيف ليستقيم الوزن.

وقوله: (**ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ**)، يحتمل معنيين متقاربين:

- **المعنى الأول**: الأرجح وزناً ومكانة بالنسبة لمن بعده من سائر الصحابة غير أبي بكر وعمر، فهو ثالثهم في الفضل، كما هو ثالثهم في الخلافة.
- **والثاني**: على الراجح، إشارة إلى اختلاف السلف في تفضيل عثمان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فالجمهور منهم على تقديم عثمان، وذكر ابن تيمية في «الواسطية» أنَّ الإجماع قد استقر على هذا.

ويؤيد هذا ما جاء عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «**كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[1].

والكلام هنا عن الأفضلية، أما مسألة الخلافة، فهذه لم يختلف فيها المسمون قط، بل هي محل إجماع من البداية، والذي يخالف فيها هو أضل من حمار أهله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَرابعُهُــم خَيْــرُ البريَّــةِ بَعْــدَهُم ... عَلِــيٌّ حَليــفُ الخَـيرِ بـالخَيرِ مُـنْجِحُ

فقوله: (**وَرابعُهُم خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم**)، أي أنَّ خير الخليقة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو(**علي**) بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (**حَليفُ الخَيرِ**) أي أن الخير يحالِفه، فهو موفق مسدد من عند الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (**بالخَير مُنْجِحُ**) أي ظافر بالنجاح وهو

1- رواه البخاري (3655).

تحصيل المقصود وتحصيل الطِلبة، وفي بعض النسخ (**بالخير يَمْنَحُ**)، وفي بعضها (**بالخير مُمْنِحُ**) أي أنه يعطي الناس ويمنحهم، ففيه وصفه بالسخاء والجود والكرم.

وفي قوله: (**عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ بالخَيرِ مُنْجِحُ**)، إشارة إلى أنَّ الحقَّ كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسألة الفتنة التي وقعت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «**والحق أن عليا كان مصيبا في حروبه**، فله في كل ما اجتهد فيه من ذلك أجران». انتهى.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنَّهـــمُ للـــرَّهْطُ لا رَيْـــبَ فِـــيْهِمُ عَلَـــى نُجُـــبِ الفِـــرْدَوْسِ بـــالنُّورِ

وجاء في بعض النسخ (**وإنهمُ والرَّهط**)، الرهط: قوم الرجل، وعددهم من الثلاثة إلى العشرة، وعليه فقوله: (**وإنَّهمُ للرَّهْطُ**) يعني بهم العشرة المبشرين بالجنة، وإن كانت (**وإنهمُ والرَّهط**) فيكون المقصود بهم هنا الستة الباقون، لأن الناظم ذكر الخلفاء الراشدين وهم أربعة، ثم عطف عليهم الستة، وهم المقصودون بالرهط هنا.

وقوله: (**لا رَيْبَ فِيْهِمُ**) أي: لا شك فيهم ولا تُهمة، إذ لا يمتري في عدالتهم وفي فضائلهم إلا ضال هالك في الدنيا قبل الآخرة.

وكذلك لا شك في أنهم من أهل الجنة، ولهذا قال بعدها: (**عَلَى نُجُب**)، جمع نَجِيبة، وهي الدابة الكريمة من الخيل والنوق، أي: هم على دواب الجنة، جنة

1- «فتح الباري» (12/ 309).

(الفِرْدَوْسِ)، (بالنُّورِ تَسْرَحُ)، أي: تسير براكبها المستضيء بالنور والحُسن والبهاء حيث شاء في الجنة.

وفي نسخة: (في الخُلْدِ تَسْرَحُ)، أي: في دار الخُلد تسرحُ.

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**والحاصل أن هؤلاء العشرة مقطوع لهم بالجنة، يتزاورون على النجب في جنة الفردوس**». انتهى.

ثم ذكر هؤلاء الستة الباقين، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سَعِيدٌ وسَعْدٌ وابنُ عَوْفٍ وطَلْحةٌ وعَامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

(سَعِيدٌ): أي سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل، (وسَعْدٌ): أي ابن أبي وقاص، (وابنُ عَوْفٍ): أي عَبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، (وطَلْحةٌ): بن عبيد الله، (وعَامِرُ فِهْرٍ): أي عامر قُريش، والمقصود به أبو عُبَيْدَةَ عَامِر بن الجراح، (والزُّبَيْرُ): بن العوام، (المُمَدَّحُ)، أي: المتصِّفُ بالمدائح الكثيرة.

1- «لوائح الأنوار» (2/ 52).

حرمة الطعن في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَقُلْ خَيْرَ قـولٍ في الصَّـحَابةِ كُلِّهِـمْ ... ولا تَـكُ طَعَّانـاً تَعِيْـبُ وَتَجْـرَحُ

فَقَـدْ نَطَـقَ الـوَحْيُ المُبينُ بِفَضْـلِهِمْ ... وفي الفَـتْحِ آيٌ في الصَّـحابةِ تَمْـدَحُ

فقوله: (**وَقُلْ خَيْرَ قولٍ في الصَّحَابةِ كُلِّهِمْ**)، أي قل بلسانك وقلبك في الصحابة كلِّهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحسنَ الأقوال، واثنِ عليهم بأحسن الثناء، وظُنَّ فيهم أحسن الظنون بلا استثناء، فهم أهل لذلك، ولا يُبغضهم إلا هالك، عليهم رضوان الله ورحمته.

و«**الصَّحَابي: مَن لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمِناً بِهِ وماتَ عَلى الإِسلامِ، ولو تَخَلَّلَتْ رِدَّةٌ في الأَصَحِّ**».[1]

واتَّفقَ العُلماء على أنَّ الصحابةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عُدُولٌ بتعديلِ الله تعالى لهم، فإذا كان التعديلُ يَثبُتُ بقول اثنين من الناس، فكيف لا يَثبتُ بالثناء العظيم من الله جَلَّ جَلَالُهُ ومن رسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم.

قال العلائي[2]: «**لم يخالِف في عَدَالة الصحابةِ مِن حيث الجُملة أَحدٌ مِن أهل السنة، وإنما الخلاف عن المعتزلة والخوارج وأمثالِهم**». انتهى.

1- وشرح هذا التعريف في الأصل.

2- «تحقيقُ مُنِيف الرُّتبة لمن ثبت له شريفُ الصُّحبة» (ص 78).

وليس المُرادُ بإثبات عدالتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّهم معصومون، وأنَّ المعصيةَ مُستحِيلةٌ عليهم، كلَّا! فإنَّ العِصمة للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولكن المُرادَ ألَّا نتكَلَّف البحثَ عن عدالتهم، ولا طلبَ التزكية فيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.[1]

وقوله: (**ولا تَكُ طَعَّاناً**)، أي: لا تكن طاعِنًا فيهم، واقعًا في أعراضهم، بنحو ذم أو غيبة ولو بكلمة واحدة، (**تَعِيْبُ**)، أي: تنسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى العيب، (**وَتَجْرَحُ**): من الجَرح، والمقصود به هنا إسقاط العدالة، والصحابة عدول بإجماع المسلمين، كما سبق بيانه.

إنَّ سبَّ الصحابة محرم بالكتاب والسنة وهو كبيرة بالإجماع[2]، وفيه قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّ أَصحابِي، فَعَلَيْهِ لَعنَةُ اللهِ والمَلائكةِ والنَّاسِ أَجمعين**»[3].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ[4]: «**وسَبُّ آلِ بَيتِه، وأزواجِه، وأصحابِه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وتَنَقُّصُهم حَرامٌ مَلعُونٌ فاعِلُه**». انتهى.

والقدح في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو في الحقيقة: قدحٌ في الله جَلَّ جَلَالُهُ، وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وفي دينه، وفي كتابه**، لأنَّ جَرحَ الناقل يعُود بالجَرح على المنقول، ومن

1- انظر: «شرح الكوكب المنير» (2/ 477) لابن النجار الفُتوحي رَحِمَهُ اللَّهُ.

2- انظر: «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (2/ 379)، للهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

3- قال الألباني: رواه الطبراني (3/ 174/ 1)، وصححه في: «الصحيحة»: (2340).

4- «الشفا» (2/ 492).

المعلوم أنَّ الصحابةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هُم نَقَلَةُ الشريعة، فإذا سقطت عدالتُهم لم يبقَ ثِقَةٌ فيما نقلوه من الشريعة، وقد نبَّهَ على هذا أهلُ العلم قديمًا وحديثًا.

وقد جَرَت سُنَّةُ الله سُبحانه، أنَّه ما خاض أحدٌ في عِرض صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **إلا رأى الناس فيه من آيات الله عَجَبًا**، وما تلَوَّثَ أحدٌ بسبِّ الصحابة إلا رأيتَهُ مُحتَقَرا ذليلًا مَهينًا في الدنيا قبل الآخرة، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٢٧]، لأنَّ اللهَ قد أعلنَ الحَربَ على من آذى لهُ وَليًّا واحِدًا، فكيف إذا كان هذا الولي هم سادةُ الخَلق بعد الأنبياء، وهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ!؟

ثم قال الناظم، مُبيِّنًا فضل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ**، ومستشهدًا لذلك:**

فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ المُبينُ بِفَضْلِهِمْ وفي الفَتْحِ آيٌ للصَّحابةِ تَمْدَحُ

قوله: (فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ): أي القرآن، (المُبينُ)، أي: الواضح الجلي، (بِفَضْلِهِمْ) أي الصحابة، (وفي الفَتْحِ) أي: سورة الفتح، (آيٌ): جمع آيه، (للصَّحابةِ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، (تَمْدَحُ): بذكر فضائلهم، وتزكية ظاهرهم وباطنهم. وخصَّ الناظم آيات الفتح بالذكر لعظيم ما اشتملت عليه من المعاني البديعة والمآثر الرفيعة والمزايا العظيمة، والمناقب الجسيمة.

الإيمان بالقدر

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبالقَــدَرِ المقْــدُورِ أيقِــنْ فإنَّــهُ دِعَامَـةُ عِقْـدِ الـدِّينِ والـدِّينُ أفْـيَحُ

فقوله: (**وبالقَدَرِ**)، المقصود به: القضاء والقدر، (**المقْدُورِ**) أي: المقدَّر من عند الله، (**أيقِنْ**) أي: فليستيقن قلبك به، (**فإنَّهُ**) أي: الإيمان بالقدر (**دِعَامَةُ**) أي: أساس وعمود، (**عِقْدِ الدِّين**)، لأنَّ الدين كالعِقد الذي يوضع في الجيد (العُنق) وفيه خرزات، وهذه الخرزات يشدها شيء حتى لا تتفكك وتتساقط، والقدر من الأركان الأساسية التي ينبني عليها إيمان الموحدين، ولا يصح إيمان العبد إلا به، وفي حديث جبريل المشهور قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

ولكن الإيمان بالقدر بعض الإيمان وليس كل الإيمان، ولهذا قال (**والدِّينُ أفْيَحُ**) أي: أوسع، **فإن مراتب الدين ثلاث**: إيمان وإسلام وإحسان. والقدر من الإيمان، فهو إذن بعض الدين، ومن أركانه العظمى، ولكن الدين أوسع من هذا.

والإيمان القدر: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة ومشيئته لما وقع، وخلقه له، خيرًا أو شرًّا، حلوًا أو مُرًّا.

1- رواه مسلم (1).

الإيمان اليوم الآخر

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلا تُنْكِـرَنْ جَهـلاً نَكِـيرًا ومُنْكَـراً وَلا الحـوضَ والمِيـزانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ
وقُـلْ يُخْـرِجُ اللهُ العَظـيمُ بفَضـلِهِ مِـن النـارِ أجْسـادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ
عَلَـى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بـمَـائِهِ كَحَـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ
وإنَّ رَسُـولَ اللهِ للخَلـقِ شَـافعٌ وقُـلْ فِـي عَـذابِ القَـبرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ

الإيمان باليوم الآخر هو **الإيمَانُ بكُلِّ ما أخبَر به النبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِما يكونُ بعد الموت.**

فتنة القبر وسؤال الملكين

وأول منازل الآخرة هو القبر، ومما يقع في القبر الفتنة، وهي سؤال الملكين، ولهذا، قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلا تُنْكِـرَنْ جَهـلاً نَكِـيرًا ومُنْكَـراً وَلا الحـوضَ والمِيـزانَ إنَّـكَ تُنْصَـحُ

فقوله: (ولا)، ناهية، (تُنْكِرَنْ): فعل مضارع مبني على الفتح، لأنه مؤكد بالنون الخفيفة في محل جزم بـ«لا الناهية»، فمعنى (وَلا تُنْكِرَنْ جَهلاً) أي: لا تجحد لجهلك بالحديث والسنة والعقيدة الإسلامية الصحيحة (نَكِيرًا ومُنْكَراً)، وهما الملكان اللذان يتوليان سؤال الناس في قبورهم، وهما أسودان أزرقان، أحدهما يقال له: منكر، والآخر: نكير.

وسبب هذه التسمية لأنهما يأتيان على صورة منكَرة لم يعهدها الإنسان، وليس فيها أُنْس للناظرين.

وفتنة القبر ثابتة في الكتاب، وتواترت بها السنة، وعليها إجماع المُسلمين.

وفتنة القبر تَعمُّ كلَّ ميِّتٍ: قُبِرَ أو لم يُقبَر، ونُسِبَت للقَبر تغليبا، لأنَّ أغلَبَ الناس يُقبَرون، وهي لا تختصُّ بهذه الأمة فقط، بل تَعمُّ جميعَ الأُمَم، فتُسأل كلُّ أُمَّةٍ عَن نَبِيِّها، وأما بَعد بِعثة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيُسألُ الجَميعُ عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لأنَّ اللهَ أرسَله لجَميع الناس بلا استثناء. ويُسألُ كلُّ مُكَلَّف: المؤمنُ والكافرُ، والكبيرُ والصغيرُ، والمَرأةُ والرجل.

ويُستثنى من السُّؤال غير المُكلَّف، كالصبيِّ والمَجنون، ومن صحت الأخبار باستثنائه: كالنبي، لأنه يُسأل عنه، ولا يُسأل لأنَّ السؤال يَختصُّ بمن شأنه أن يَفتَتن، وممن لا يُسأل الشهيد الذي امتُحن وثبتَ بجهاده في الدنيا، والصدِّيقُ الذي هو أعلى رُتبة من الشهيد، والمُرابِطُ، ومن داوَم على قراءة سورة المُلك، ومن مات يوم الجُمعة.

حوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

.... وَلا الحَــوضَ والمِيــزانَ إنَّــكَ تُنْصَــحُ

فقوله: (**وَلا**)، أي: تنكرن أيضًا جهلًا وعنادًا وسفهًا وإلحادًا (**الحوضَ**)، و(أل) فيه للعهد وبدلًا عن الإضافة، أي حوض النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه حق ثابت بإجماع أهل الحق، (**و**) لا تنكرن أيضا (**الِميزانَ**)، الثابت بالكتاب والسنة والإجماع، (**إنَّكَ**) أيها المستمع لهذا النظم المتفهم لمنطوقه (**تُنْصَحُ**): من النصيحة، وهي كلمةٌ يعبَّر بها عن جملةٍ هي إرادةِ الخَيرِ للمنصوح له.

وحوض النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقي مخلوق، يكون في الموقف يوم القيامة، وهو قبل الصراط على الصحيح، يصب ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة، طوله شهر وعرضه شهر، وزواياه سواء، فهو مربع على الصحيح، ماؤه أشد بياضا من اللبن والثلج والفضة، وأطيب ريحا من المسك، وأحلى مذاقا من العسل، وأبرد من الثلج، آنيته أكثر من نجوم السماء عددا، ومثلها حسنا وضياءً، يَرِدُه من شاء الله من أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من شرب منه شَربةً لا يظمأ بعدها أبدا.

الميزان يوم القيامة

فقوله: (**والِميزانَ**)، أي: ولا تنكرن أيضا جهلًا وعنادًا (**الِميزانَ**) الذي توزن به الأعمال من حسنات وسيئات يوم القيامة، **لأنه حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع**.

وهو **ميزانٌ حَقيقي من جِنس المَوازين، له كِفَّتَان حِسِّيَّتان مُشَاهَدَتان**، ومع هذا، فالبابُ غَيبٌ مَحْضٌ، والله أعلم بما وراء ذلك من الكَيفِيَّات.

واختلف أهل العلم: **هل هو ميزان واحد أو موازين؟** فمِن قائلٍ: **إنها موازينُ متعدِّدةٌ، والقول الآخر** -**وهو الأشهر**-: إنَّه ميزان واحدٌ لجميع الأمم وجميع الأعمال، والتعبير بلفظ الموازين في بعض النصوص، راجع لكَثرَة المَوْزونات لا لتَعدُّد المَوازين.

والميزان يكون بعد الحساب، والحكمة في ذلك -والله أعلم- أنَّه إذا انقضى الحساب كان بعده وزنُ الأعمال، لأن الوزنَ للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، **فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها**، ليكون الجزاء بحَسَبها.

واختلف أهل العلم: **ما الذي يوضع في كفتي الميزان؟ على أقوال:**

القول الأول: إنَّ الموزون هو العمل فقط.

الثاني: إن الموزون هو صحائف الأعمال.

والثالث: هو الجَمْعُ بين هذه الآثار بِأَنْ يكون ذلك كُلُّهُ صَحِيحًا، فتارةً تُوزَنُ الْأَعْمَالُ، وتارةً تُوزَنُ مَحَالُّهَا، وتارةً يُوزَنُ فَاعِلُهَا.

والقول الرابع: وهو أنَّ الكل يوزن، أي: العمل، والعامل، وصحائف الأعمال، جَمْعًا بين الأدلة. وإلى هذا أشار شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي بقوله:

والـــوزنُ في أصـــحِّ قَـــوْلٍ للعمـــلْ وعامِـــلٍ مَـــعْ صُـــحْفِهِ نِلْـــتَ الأمَـــلْ

والحكمة من الوزن يوم القيامة أمور، منها:

- امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وهذا عام في الميزان وفي غيره من الغيبيات.
- إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة.
- إظهار فضل المتَّقين برُجحان أعمالهم في الميزان.
- إقامة الذُّل والخِزي على الكافرين، وبيان أنَّهم لا وزن لهم عند الله، كما لم يكن للإيمان بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم في الدنيا وزن.
- تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.
- إقامة الحجة عليهم.
- إظهار عدل الله بين الناس، وأنه لا يظلم أحدا.
- بيان رحمة الله، بأن ضاعف الحسنات، وأفرد السيئات، ومع هذا الفَضل العظيم، والرحمة الواسعة، فالـهَلكَى كثيرٌ، والنَّاجون يوم القيامة قَليل، **والويل لمن غلبت آحادُه عشراتِه.**

إخراج المُوَحدين من النار إلى الجنة

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُــلْ يُخْــرِجُ اللهُ العَظــيمُ بفَضــلِهِ مِـن النـارِ أجْسـادًا مِـن الفَحْـمِ تُطْـرَحُ
عَلَـى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بـمَـائِهِ كَحَـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ
وإنَّ رَسُـــولَ اللهِ للخَلـــقِ شَـــافعٌ وقُـلْ فِـي عَـذابِ القَـبرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ

فقوله: (وقُلْ)، أي: أيها السُّني المُوحِّد (يُخْرِجُ اللهُ العَظيمُ بفَضلِهِ) العميم وكرمه الجسيم، (مِن النار) المعهودة التي هي نار جهنم الموقودة (أجْسادًا) بعد دخولها فيها وإصابتها من عذابها ما تستحقه منها، (مِن الفَحْمِ)، أي: بعد ما صاروا فَحمًا، والفحم: الجمر الطافي، (تُطْرَحُ): أي تُرمى وتُلقى.

وفي قوله: (بفَضلِهِ): إشارة إلى أنَّ هذا الإخراج من النار من فضل الله على عباده، الذي ألهم هؤلاء القوم التوحيد الذي استوجب خروجهم من النار برحمة الله سبحانه.

ومن جميل الشعر قولُ الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَـــو شـــاءَ أَن تَصـــلى جَهَـــنَّمَ خالِـــداً مـــا كـــانَ أَلهَـــمَ قَلبَـــكَ التَّوحيـــدَا

وفي قوله: (أجْسادًا): إشارةٌ إلى أنَّه ما بقي منهم شيء –والعياذ بالله من حالهم–، ولهذا قال بعدها: (مِن الفَحْمِ تُطْرَحُ)، فهي أجسادٌ متفَحِّمةٌ محترقة.

ثم بيَّنَ الموضع الذي تُطرح فيه أجسادهم، فقال:

عَلَـى النَّهـرِ في الفِـردوسِ تَحْيـا بـمَـائِهِ كَحَـبِّ حَميـلِ السَّـيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ

فقوله: (عَلَى النَّهرِ): مُتَعلِّقٌ بـ«تُطْرَحُ»، (في) جنة (الفِردوسِ تَحْيا): أي: تلك الأجساد بعد ما صارت فَحمًا وطُرِحَت على النهر الذي هو في جنة الفردوس

(بـ)إصابة (مَـائِهِ)، أي: ماء ذلك النهر لتلك الأجساد، وتنبت تلك الأجساد بسَيَلان ماء أنهار الجنة عليها كما تَنبُت حِبَّـةُ (حَميلِ السَّيْلِ) أي الحِبة التي يحملها السيل، وفي بعض النسخ: (كحَبَّةِ حَمْلِ السَّيْلِ)، وهما بمعنى واحد، (إذ جَاءَ يَطْفَحُ): أي: يَـفِيض.

وفي «الصحيحين»[1] قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مِنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ».

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»، أي: يَنبُتون بسببه، وأما «الْحِبَّةُ» بكسر الحاء، فهي بِزْرُ البُقول والعُشْب تنبت في البَراري وجَوانِب السُّيُول، مما ليس بقوت.

وأما «حَمِيل السَّيْل»، هو الزَّبَد، وما يلقيه على شاطئه، أي: ما جاء به السَّيلُ مِن طينٍ أو غُثاءٍ، ومعناه: محمولُ السَّيل. فإذا اتفقت فيه حِبَّةٌ واستقرَّت على شط مجرى السَّيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، والمرادُ تشبيهُ سرعة عَوْدِ أجسام الْمُخرَجين من النار بعد أن احترقت فيها، بسُرعة ظهور النَّبات وحُسنِه وطَراوَتِـه.[2]

1- رواه البخاري (806)، ومسلم (182).

2- انظر: «شرح مسلم» (3/ 23)، و«النهاية» (1/ 442، حَمَلَ).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وتشبيهه نباتهم بنبات الحِبة لوجهين:**

- **أحدهما**: بياضُها كما ذُكر في الحديث فيهم وفيها (كاللؤلؤ).
- **والثانية**: سرعة نباتها لأنها قالوا تنبت في يوم أو ليلة لأنها لما رويت من الماء ثم ترددت في غثاء السيل وقد رويت وتيسرت قلبتها للخروج فإذا خرجت إلى طين الشط في حميل السيل غرزت عروقها فيه لحينها ونبتت بسرعة». انتهى.

شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة

وبعد الإشارة إلى الشفاعة إجمالا، صرَّح بها ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله:

وإنَّ رَسُـــولَ اللهِ للخَلـــقِ شَـــافعٌ وقُـلْ فِـي عَـذابِ القَـبرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ

فحرف الواو في قوله: (**و**)، أي: ومما ينبغي أن يُعتقَدَ ويُقال أيضا: (**إنَّ رَسُولَ اللهِ**): محمد بن عبد الله النبي الهاشمي القرشي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**للخَلقِ**) جميعًا، بلا استثناء، (**شَافعٌ**)، اسم فاعل من الشفاعة، **والمقصود بها هنا الشفاعة العُظمى للخلق يوم القيامة**، وهي خاصة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سائر الأنبياء والمرسلين وكافة العالمين، وهي المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وهناك شفاعات أخرى هي له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، ومن ذلك شفاعته في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها، وشفاعته في قوم استحقوا النار ألاَّ يدخلوها، وشفاعته في أقوام من أهل الجنة في رفع درجاتهم فيها.

1- «مشارق الأنوار» (1/ 175).

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وأجمعوا على أن شفاعة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأهل الكبائر من أمته**، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعد ما صاروا حِمَماً، فيُطرَحون في نهر الحياة فينبُتون كما تَنبُت الحِبة في حَمِيل السَّيل». انتهى.

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

بعد الكلام على الشفاعة يوم القيامة، قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

..... **وقُـلْ فِـي عَـذابِ القَـبرِ حـقٌّ مُوَضَّـحُ**

فحرف الواو في قوله: (**و**) عطف على المسائل الجليلة التي تم بيانها في هذا النظم المبارك، و(**قُلْ**)، يا صاحبَ السنة قولًا بلسانك معتقدًا إياه بجَنانِك، (**فِي عَذابِ القَبرِ**)، ونعيمه (**حقٌّ**)، لا مِرية فيه، ولا يُجادل فيه إلا مُبطل، لأنَّه (**مُوَضَّح**) في الآيات القرآنية، وتواتر النصوص النبوية، والآثار السلفية، وإجماع أهل الحق عليه، ولا ينكره إلا معتزلي ضال.

وفي بعض النسخ: (**وقل إنَّ عذابَ القبرِ بالحقِّ يُوضَحُ**)، والمعنى واحد.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: « **وأجمعوا على أن عذاب القبر حق**، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيُثبِّت الله مَن أحب تَثبيته». انتهى.

1- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 164). وقال (ص 163): «وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه». انتهى.

2- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 159).

واتَّفقَ أهلُ السنة والجماعة على أنَّ العذاب والنَّعيم على الروح والبدن جميعا، أي: على الروح منفردة، وحين اتصالِها بالبدن، **ووقع الخلاف بينهم في حُصُولِ العذابِ والنَّعيمِ للبدن بدون الروح.**

والحقُّ الَّذي تنصُرُه الأدِلَّةُ هو أنَّ العذابَ والنَّعيمَ على الروحِ والجَسَد مَعًا، وهذا هو الَّذي اختارَه المحقِّقُون من أهل العلم: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العزَّ، وجماعة، وعليه علماؤنا المُعاصِرون.

وهل عذاب القبر مستمر أو منقطع؟

والجواب أن يُقال: إنَّ العذاب منه مستمر ومنقطع.

أما المستمر، فهو الذي يكون للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين الذين لم يَطهُروا من خطاياهم بعدُ أو هم يُعذبون على ذنوبٍ معينة استوجبت استمرار العذاب عليهم إلى قيام الساعة.

وقد يكون العذاب منقطعا، وهذا لعصاة الموحدين خاصة، لأنه عذاب ينقطع قبل يوم القيامة، ويزول بزوال سببه.

وأما عن أسباب عذاب القبر كثيرة، ومنها:

الغيبة والوقوع في أعراض الناس،

والكذب، سيما الكذب الذي يبلغ الآفاق،

وعدم التنظف من البول،

وعدم العمل بالعلم،

والغُلول: وهو الخِيانةُ في المَغْنَم والسَّرقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة،

وتعذيب الحيوان،

والكبر والخُيَلاء،

وأكل الربا،

والزنا،

والنوم عن الصلاة،

والتَّأَلِّي على الله وهو القول والحُكم عليه بغير علم، وغير ذلك من الأسباب التي أوجبت لأهلها العذاب في قبورهم، والعياذ بالله من حالهم ومآلِهم.

وأما الأسباب المُنجية من عذاب القبر فهي كثيرة جِماعها: تحقيق التوحيد، واتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستقامة على شرعه ظاهرا وباطنا، والإكثار من محاسبة النفس، والإسراع بالتوبة، ولكن جاء التنصيص على أسباب معينة تُنجي من عذاب القبر، **ومن ذلك**: الرباط والشهادة في سبيل الله، والموت بمرض البطن، وغير ذلك.

الإيمان بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تُـكْفِرَنْ أهْـلَ الصَّـلاةِ وإنْ عَصَـوْا ... فكلُّهُـمُ يَعْصِـي وذو العَـرشِ يَصْـفَحُ
ولا تَعتقِـدْ رَأيَ الخَـوارجِ إنَّـهُ ... مَقَـالٌ لِمَـنْ يهـواهُ يُـرْدِي ويَفْضَـحُ
ولا تَـكُ مُرْجِيًّـا لَعُوبًـا بدينِـهِ ... ألا إنَّمَـا المُرْجِـيُّ بالـدِّينِ يَمْـزَحُ
وقُـلْ إنَّمـا الإيمـانُ قَـوْلٌ ونيَّـةٌ ... وفِعْـلٌ عَلَـى قَـولِ الـنبيِّ مُصَـرَّحُ
ويَـنْقُصُ طَـوْرًا بالمعَاصِـي وَتَـارةً ... بطَاعَتِـهِ يَنْمِـي وفي الـوَزنِ يَـرْجَحُ

التحذير من تكفير المسلمين بغير حق

فقوله: (ولا تُكْفِرَنْ)، أي: ولا تحكم بالخروج من الدين، ولا تُكفِّر (أهْلَ الصَّلاةِ)، المعهودة التي هي أحد أركان الإسلام ومباني الدين العظام، وفي هذا إشارة إلى أن من لم يكن من أهل الصلاة لا يدخل في هذا الكلام، والمصنف على مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومعلوم عند الحنابلة –في أشهر الروايتين– أنهم يكَفرون تارك الصلاة.[1]

والتَّكفيرُ: نِسبَـةُ الشخصِ إلى الكُفر، وهو **لُغةً**: التَّغطِيَةُ والسَّترُ، **وشَرعًا**: «الحكم الشرعي بالكفر على مقالة، أو طائفة، أو شخص مُعيَّن».

1- انظر: «الكافي» (1/ 177)، لابن قدامة، و«الإنصاف» (3/ 37)، للمَرداوي.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل حسن في حكم تارك الصلاة ذكره في جواب له في «الفتاوى» (22/ 40).

وفي «الصحيحين»، واللفظ لـمسلم[1]، عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**».

قال الإمام ابن عبد البر[2]: «**وَهَذَا غَايَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ**، وَالنَّهْيِ عَنْ أَنْ يُقَالَ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ: يَا كَافِرُ». انتهى.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولا تُكْفِرَنْ أهْلَ الصَّلاةِ وإنْ عَصَوْا**)، بارتكاب الذنوب والمعاصي، (**فكلُّهُمُ**)، أي: العباد، (**يَعْصِي**): من العِصيان وهو خلاف الطاعة، والمعصية تشمل الكبائر والصغائر، و(**وذو**) ، أي: صاحب (**العَرشِ**)، العظيم الذي هو أعظم المخلوقات والعالي عليها جميعا، (**يَصْفَحُ**): من الصَّفح وهو الإعراض عن المؤاخذة، وتركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو.

فالله (**ذو العَرشِ يَصْفَحُ**) عن المذنبين، ويقبل توبة التائبين، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

والعرش: سرير ذو قوائم، خلقه سبحانه بيده، ولا يعلم قدره إلا الله، تحمله الملائكة، وهو أعلى المخلوقات وأعظمها وسقفها، وهو كالقبة على العالم، استوى الله عليه وارتفع استواءً يليق بجلاله، جاء وصفه في القرآن بأنه عظيم كريم مجيد.

ومُرتكبُ الكبيرة عند أهل السُّنَّة: مُؤمنٌ بإيمانِه، فاسِقٌ بكَبيرَته، لا يُعطَى الاسمَ

1- (60)، وعند البخاري (6103-6104).

2- «التمهيد» (17/ 22).

المُطلَق، ولا يُسلَبُ مُطلَقَ الاسم، وأمرُه إلى الله يومَ القيامة إن ماتَ على غَيرِ تَوبَةٍ، فإن شاءَ غَفَر له بفَضله، وإن شاءَ عذَّبَهُ بعَدله سبحانه، ويُخرِجُهُ من النار إلى الجَنَّة متى مُحِّصَ وطُهِّر، إن ماتَ على التَّوحيد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ رد على أهل الكتاب والمشركين والكفار، وفي قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ رد على الخوارج والمعتزلة، وفي قوله: ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ رد على المرجئة.

التحذير من عقيدة الخوارج

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَعتقِـــدْ رَأيَ الخَـــوارجِ إنَّـــهُ مَقَـالٌ لِمَـنْ يهـواهُ يُـرْدِي ويَفْضَـحُ

(**ولا تَعتقِد**) بقلبك، (**رَأيَ الخَوارجِ**)، فسمَّى الذي هم عليه رأيًا، لأنه رأي من نتائجِ عقولهم، ومن نسجِ أفكارهم، لا يقومُ على دليلٍ من الكتاب والسنة.

و(**الخَوارج**): جمع خارج، وأصلُهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفارقوه بسبب قضية التحكيم، وكانوا اثني عشر ألفًا، فأرسل إليهم ابنَ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فجادلهم ووَعظهم، فرَجع بعضُهم، وأَصرَّ على المخالفة آخرون.[1]

1- انظر: «مقالات الإسلاميين» (1/ 84)، لأبي الحسن الأشعري.

وهؤلاء الخوارج سُمُّوا بذلك لأنهم خرجوا على الجماعة من جهتين:

الجهة الأولى: خرجوا على جماعة الأديان، بالبدع الشنيعة والضلالات.

والثانية: خرجوا على جماعة الأبدان وأئمة المسلمين وحكوماتهم، بالسيف والويلات.

فخرجوا بالدين أولاً، ثم بالأبدان ثانيا.

وهم فرق كثيرة، يُكفِّر بعضُهم بعضًا، ولكنهم كما قال السفاريني[1]: «**وجميعُ فِرَق الخوارج مارِقة، وللدين القويم مُفارِقة**، إلا من أتبع هداه، وصادم هواه». انتهى.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رأي الخوارج: (**إنَّهُ مَقَالٌ**): شنيع، ورأى فظيع، (**لِمَن**)، أي لكل إنسان، (**يهواهُ**): ويميل إليه، ويُشرِبُه قلبُه (**يُرْدِي**): أي: يُسقِطُ ويُكِبُّ في هُوَّةِ الهوى، وظلام الباطل، (**ويَفْضَحُ**) صاحبَه، ومن انتسب إليه الدنيا والآخرة.

وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على وجوب قتال هؤلاء الذين شقُّوا العصا، وفارقوا الجماعة، وشَهَروا على المسلمين السلاح، وأخافوا السبيل، وأفسدوا بالقتل والسلب، بلا حق ولا دليل.[2]

ومن تأمل قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيهم: «**الخَوارِجُ كِلابُ النار**»[3]، عَلِم حقيقةَ معنى كلمةِ الناظم عن مذهب الخوارج بأنه: (**مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ يُرْدِي ويَفْضَحُ**).

1- «لوائح الأنوار» (2/ 329).

2- «التمهيد» (23/ 339).

3- رواه أحمد (19130)، وابن ماجه (173)، والطبراني في «الأوسط» (9085)، عن ابن أبي أوفى، وجاء أيضا عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (3347).

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المؤمن يستر ويرحم ويرجو المغفرة والرحمة، والمَفتون الخارجي يَهتِك ويُعَيِّر ويُقَنِّط، وهذه أخلاق الكلاب وأفعالهم، **فلما كَلَبُوا على عباد الله ونظروا لهم بعين النَّقص والعداوة ودخلوا النار، صاروا في هَيئةِ أعمالهم كلابا كما كانوا على أهل السنة في الدنيا كلابا**». انتهى.

وفي قول الناظم في رأي الخوارج: (**مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ**): إشارة إلى أنَّ الذي هُم عليه مُجردُ أمرٍ وافق أهواءَهم، فرَكِبوه، ولهذا جاءت النصوص والآثار عن السلف بذم الهوى.

1- «فيض القدير» (3/ 509). ويمكن أن يُزاد معنى آخر، وهو أنهم -أي الخوارج- يخدِمون مصالحَ الكفار على وجهٍ صاروا به كالكلاب التي تحرس حِياضَهم، وتنكأ عدوَّهم من المسلمين. والشرع والواقع يشهدان بهذا، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصفهم بأنهم يقتلون أهلَ الإسلام ويذرون أهلَ الأوثان.

التحذير من عقيدة المرجئة

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تَـــكُ مُرْجِـــيًّا لَعُوبًـــا بدينِـــهِ ألا إنَّمَـــا الْمُرْجِـــيُّ بالـــدِّينِ يَمْـــزَحُ

ومعناه: (**ولا**) أيها السني، (**تَكُ**)، بحذف النون تخفيفًا، (**مُرْجِيًّا**)، أي: مرجئًا، على دين المُرجئة القائلين: (لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا عمل في الإيمان)، (**لَعُوبًا**)، أي: كثيرَ اللعب، إشارةً إلى كثرة تلاعُبهم بالدين، وعدم الجد فيه، إذْ ساوَوْا بين المؤمن التقي، والفاجِر الغَوِي، وهذا مِن شُؤم البدع على أهلها، وخطرها على أصحابها.

قال الإمامُ مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مهما تلاعبتَ بشيء، فلا تَلْعَبَنَّ بدينك».[1]

(**ألا**): أداة استفتاح، وتفيد التحقيق لما بعدها، (**إنَّمَا**)، أداة حصر، (**الْمُرْجِيُّ**): بياء النسبة إلى طائفه من المرجئة، وتَرك الناظم الهمز للوَزن أو هو لغة، والحق الثاني.

(**ألا إنَّمَا الْمُرْجِيُّ بالدِّينِ**) القويم والإيمان المستقيم، (**يَمْزَحُ**): من المُزاح والدُّعابة، وذلك أنَّ مذهبَ المرجئة ينقض عُرَى الإسلام، وهو سُلَّمٌ لترك الطاعات والجراءة على المحرمات، ولا يَرتاب ذو لُبٍّ أن هذا مزاح بالدين ولعب، **ومن نَـهَج هذا المنهج فهو على شَفَا جُرْف هار، وهو لسيرة أهل الكفر والإلحاد أقربُ منه لسيرة الأبرار.**

والإرجاء لغة: الإهمال والتأخير، **واصطلاحا**: تأخير العمل عن مسمى الإيمان.

والمرجئة طوائف:

1- «ترتيب المدارك» (2/ 65).

- **فمنهم من قال**: الإيمان مجرد معرفة القلب، وأنه لا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه، وهو قول الجهمية.
- **ومنهم من قال**: الإيمان هو قول اللسان دون القلب، وهو قول الكرامية.
- **ومنهم من قال**: الإيمان هو التصديق القلبي، وهو قول الماتريدية والأشاعرة.[1]
- **ومنهم من قال**: الإيمان هو القول باللسان والتصديق بالقلب، وهو قول مرجئة الفقهاء وابن كلاب.

يقول الزُّهري: «**ما ابتُدِعَ في الإسلام بدعةٌ هي أضَرُّ على أهله من هذه**، يعني الإرجاء».[2]

والإرجاء سُلَّمُ الحِرمان، ومَسلَكٌ خبيثٌ ينفُذُ منه أهلُ الفِسق والعِصيان، وقد ذكر أهلُ العلم قديما وحديثًا الآثار المترتبة على قول المُرجئة في الإيمان، ومن ذلك:

- مخالفة كلام الله جَلَّجَلَالُهُ وكلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما أجمع عليه السلف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.
- إضعاف القوة الإيمانية عند الأمة الإسلامية.
- إضعاف القوة المادية عند الأمة الإسلامية.
- ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1- وهذا هو القول الذي اعتمده متأخرو الأشاعرة، وصار يُدرَّس في كثير من جامعاتهم.

انظر: «الإيمان عند السلف» (1/ 232)، لآل خضير.

2- «الإبانة» (2/ 893).

- فتح المجال للزنادقة والفسقة للنيل من الدين الإسلامي والسخرية به.
- التهاون بأعظم الأصول الدينية وهو توحيد الألوهية.

الكلام على حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة وتفاضل أهله فيه

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقُــلْ إنَّمــا الإيمــانُ قَــوْلٌ ونيَّــةٌ وفِعْــلٌ علَــى قَــولِ الــنبيِّ مُصَــرَّحُ

فقوله: (وقُلْ)، بلسانك، معتقدًا بجَنانك، مذعنًا بأركانك، (إنَّما): أداة حصر، (الإيمانُ) الشرعي، الذي لا ينجو أحد بدونه، (قَوْلٌ) باللسان، وبالقلب أيضا، (ونيَّةٌ)، أي: قَصد، وهي من عمل القلب، (وفِعْلٌ)، بالجوارح والأركان، وباللسان كذلك.

(علَى قَولِ النبيِّ) محمد بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، (مُصَرَّحُ)، مبتدأ مؤخر، خبره شِبه الجملة (علَى قَولِ النبيِّ)، أي أنَّ الـ(قول) والـ(نية) والـ(فعل) جاء التصريح بأنها من الإيمان في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديثَ كثيرةٍ، فمَن قال بذلك فقولُه مَبْنِيٌّ على ما جاء عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومذهب أهل الحق من السلف -ومَن وافقهم- أنَّ الإيمانَ يتفاضل أهلُه فيه، فيزيد وينقص، ولذا قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بعدها:

ويَــنْقُصُ طَــوْرًا بالمعَاصِــي وَتَــارةً بطَاعَتِــهِ يَنْمِــي وفي الــوَزنِ يَــرْجَحُ

(ويَنْقُصُ): أي الإيمان، (طَوْرًا): أي مرة، (بالمعَاصِي): جمع معصية وهي ما يذم مرتكبها من كبيرة وصغيرة.

(وَتَارةً): أي مرة أخرى، (بطَاعَتِهِ): أي العبد المؤمن، (يَنْمِي)، وفي نسخة: (ينمو) والمعنى واحد، أي: يزيد، يُقال: نمى الشيء ينمو نموًا زاد وارتفع وكَثُر.

(وفي الوَزنِ)، أي: الميزان، (يَرْجَحُ)، أي: يَثقُل، لزيادته بالطاعات.

والإيمان لُغَةً: مُشتَقٌّ من الأَمْن: أَمِنَ يأمَنُ أَمانًا، وهو الإقرار، أو التصديق الجازم الذي يَتبعه عملٌ يأمَنُ معه المؤمنُ الغائلة أو العقوبة.

وأما الإيمان شرعًا، فقد أجمع السَّلَفُ على أنَّه **قَولٌ وعملٌ**، ومعنى قول السلف: «الإِيمَانُ قَولٌ وَعمَلٌ» أي: قولُ وعملُ القلب، وقولُ وعملُ اللسان، مع عمل الجوارح، أو قولُ القلب واللسان، وعَملُ القلبِ واللسان والجوارح.

قال الإمام ابن عبد البَر المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**أجمع أهلُ الفقه والحديث على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنِيَّـة، والإيمان عندهم يَزيدُ بالطاعةِ ويَنقُص بالمَعصية، والطاعاتُ كلُّها عندهم إيمان...**». انتهى.

إذن، قولُهم: الإيمان قول وعمل، يندرج فيه أمور:

أوّلها: قول القلب: وهو تصديقه وإقراره واعتقاداته التي مَحلُّها القلب.

وثانيها: قول اللسان: وهو نطقُه بالشهادتين اللَّتين يَدخُلُ بهما العبدُ في الإسلام.

وثالثها: عمل القلب: وهو حركاتُه وإراداتُه التي لا يَصحُّ إيمانُه إلا بها، كالمحبة والخوف والرجاء والتوكّل والصَّبر.

ورابعها: عمل اللسان: وهو ما لا يؤدّى إلا به، كتلاوة القرآن وذكر الله والإهلال بالحج وغير ذلك.

وخامسها: عمل الجوارح: كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها من الأعمال.

1- «التمهيد» (9/ 238).

وعلى هذا التعريف، فإنه **يدخُل في الإيمان جميعُ المأمورات، سواء كان من الواجبات أو المستحبات، ويدخل فيه تركُ جميع المَنهيات**، سواء كان ذلك المنهي يُنافي أصولَ الدين بالكلية أو لا. فما من خصلة من خِصال الطاعات الظاهرة والباطنة إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات الظاهرة والباطنة إلا وهو من الإيمان.

والتفاضل بين المؤمنين يكون في أمرين:

- **في أصل الإيمان**، وهو اعتقاده وتصديقه وإقراره، خلافًا للمُرجئة القائلين بأنَّ الناسَ في أصل الإيمان سواء.
- **وفي سائر الأقوال والأعمال**، خلافًا للمُرجئة القائلين بعدم زيادة الإيمان ونقصانه.

وعبَّرَ عن هذا ابن عثيمين بقوله[1]: «**والإيمان يزيد بالكمية والكيفية**، فزيادة الأعمال الظاهرة زيادة كمية، وزيادة الأعمال الباطنة كاليَـقين زيادة كيفية». انتهى.

1- «القول المفيد» (2/ 373).

التحذير من اتباع الرأي والقدح في أهل الحديث

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدَعْ عنــكَ آراءَ الرِّجــالِ وَقــولَهُم فقَــوْلُ رَسُــولِ اللهِ أَزكــى وأَشْــرَحُ

فقوله: (**وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم**)، عَودٌ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتقرير أمر مهم –سبق وأن أشار إليه الناظم في أول هذه «القصيدة الحائية»–، وهو: **أهمية العناية بمصادر التلقي عند أهل السنة**، ففي أول المنظومة قال: «**تَمَسَّكْ بحَبْلِ الله واتَّبعِ الْهُدَى**»، وفي آخرها يقول: (**وَدَعْ عنكَ آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم**)، فإنَّ كلَّ أهلِ البدع الذين مضَى ذكرُهم آفَّـتُهم مِن جِهَة ترك الكتاب والسنة والإقبال على آراء الرجال في مقابلة النص وما كان عليه السلف الصالح.

قال: (**وَدَعْ**) أي: ذَر واجتنب واترك، يا من يسمع هذا النظم، (**عنكَ**)، غير مُـحتَفِلٍ ولا مُكترِث، (**آراءَ الرِّجال**): جمع رأي، وهو الفِكر والنظر، والمعنى: لا تَبْنِ دينَك وعقيدَتك على الآراء الْمُـتَـكَلَّفة، والأقوالِ الْمُحدَثة، بل ابْنِها على الكتاب والسنة، ففيهما السلامة والعصمة والنجاة.

و(**الرِّجال**): جمع رجل، وذكر الرجال هنا لا مفهوم له، إذ المراد ترك آراء مطلق الناس مِن ذَكَرٍ أو أنثى، ولكن لما كان الغالب أن يكون أصحاب الرأي رجالًا خصَّهم بالذكر.

(**وَ**) دع عنك (**قولَهُم**)، فلا تهتم به، ولا تجعله لك مذهبا، لأنه عُرضَةٌ للخطأ، وغيرُ مَضمون لأصحابه الصوابُ، ولكن إن كنت تَبغي النجاة والفوزَ بالدرجات

العالية والنعيم المقيم (فـ) اتَّبِـع (قَول رَسُولِ اللهِ) محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المعصوم من الزلل والخطأ، والموفَّق للإصابة في كل ما يُبلِّغ، لأنه لا ينطق عن الهوى، بل يَصدُر عن خيرِ وحي يوحَى.

فهو (أَزكى)، أفعل تفضيل مأخوذ مِن زَكى يَزْكُو زَكاءً، أي: فهو أطهرُ وأصفَى وأَخلَصُ وأنقَى من جميع أقوال الناس وآراءهم، لأنه خرج من مشكاة نور الهداية وينبوع عين الفلاح.

وجاء في بعض النسخ (أولى)، أي: بالأخذ والتقديم.

(وأَشْرَحُ)، أي: أَبْيَنُ وأوضح وأوسع وأفسح من مقالات المُتَحَذْلِقِين، وآراء المُتَعَمِّقِين، وتأويلات المُتَنَطِّعِين.

ونستفيد من قول الناظم: (فقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزكى وأَشْرَحُ)، أنَّ **مُتَّبِعَ الحديث منشرحُ الصدر، مرتاح البال، ثابت الإيمان**، فإنَّ اتباع قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرحُ للصدر، وأرتحُ للفؤاد، وأدْعَى لطمأنينة النفس.

فإنَّ أكثرَ الناس سعادةً أهلُ الحديث والأثر، وأكثر الخَلق حَيرَةً أهلُ الأهواء المنتسبون زورًا إلى العقل والنظر.

والرأي ينقسم –إجمالا– إلى قسمين:

القسم الأول: الرأي الصحيح أو المحمود، وهو الذي استعمله السلف، وسوَّغوا القول به والعمل بمقتضاه.

والقسم الثاني: الرأي الباطل أو المذموم، وهو الذي منع منه السلف، وصاحوا على

أصحابه بالذم والعيب والتحذير.

وأما على وجه التفصيل، فالرأي المحمود يدخل تحته عدة أنواع:

النوع الأول: رأي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والثاني: الرأي الذي يُفسر النصوص، ويُبيِّن وجه الدلالة منها.

والثالث: الرأي الذي أجمعت عليه الأمة، فإنه لا يكون إلا صوابا.

والرابع: الرأي الحاصل ممن كان أهلا للاجتهاد.

وأما الرأي المذموم، فهو أيضا على أنواع:

النوع الأول: الرأي المخالف للنص أو الإجماع.

والثاني: إعمال الرأي في تفسير كلام الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير ما تقتضيه اللغة العربية، والقواعد الشرعية.

والثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة، والقواعد الكلامية الساقطة، التي جاء بها الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوَهم.

والرابع: الرأي الذي يرجع إلى الابتداع في الدين، وتغيير السنن وهجرها.

ومصطلح أهل الرأي مشتهر في علمي: العقيدة والفقه[1]، فأما العقيدة: فالمراد به أهل الكلام المبتدع، الذين يُقدم أصحابُه العقلَ على النقل، وخالفوا عقيدة الصحابة والأنبياء بفلسفة الإغريق وزُبالات الآراء.

1- انظر: «جامع بيان العلم» (2/ 1052)، و«الاعتصام» (3/ 179).

قال الإمام أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَهْلُ الرَّأْيِ هُمْ أَهْلُ الْبِدَع**».[1]

وحالُ هؤلاء كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إِنْ قُلْتَ: قَالَ اللهُ قَالَ رسولُهُ فيَقولُ جَهلًا: أينَ قَولُ فُلانِ

وأما إطلاق الرأي في علوم الفقه، فالأشهر أن مصطلح «أهل الرأي» يُطلق على أصحاب الإمام أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ممن توسع في باب القياس، حتى قدَّموا آراءهم على بعض النصوص الشرعية الثابتة.

1- انظر: «جامع بيان العلم» (2/ 1042)، و«الاعتصام» (3/ 178، 302).

التحذير من الطعن في أهل الحديث والأثر

قال الناظم بعدها:

وَلا تَكُ مِن قومٍ تَلَهَّوْا بدينِهِم ... فَتَطْعنَ في أَهلِ الحَدَيثِ وتَقْدَحُ

فقوله: (وَلا تَكُ مِن قوْمٍ)، يعني بهم أهلَ الاعتزال، وأهلَ الرفض والوَبال، وأهلَ الكلام المُحدَث، ممن اكتفى بالمعقول عن المنقول، و(تَلَهَّوْا) أي تلاعبوا (بدينِهِم) الذي أُمِروا بتعظيم شعائره، وحفظ حدوده، (فَتَطْعنَ)، أي: تقع وتخوض، (في أَهلِ)، أي: أصحاب (الحَدَيثِ): علمًا وعملا، صِدقًا واتباعًا، الذين جعلوا من الوحيين مَصدَرًا للتلقي، فبلغوا بذلك منازل البر والترَقي، (وتَقْدَحُ)، أي: في عدالتهم وصدقهم، وتنسبهم إلى الضلال والباطل.

وهذا الكلام من الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **شامل لأهل البدع، وأهل الفسق والفجور،** فإن الجميع يشتركون في الطَّعن والعيب والحَطِّ من أهل الحق، وهذا مِن جهلِهم بدين الله وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جهل شيئاً عاداه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣١].

خاتمة الشرح

ختم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصيدته بقوله:

إذا مَا اعتقدْتَ الـدَّهْرَ يـا صَـاحِ هـذِه فَأَنــتَ عَلــى خَيْــرٍ تَبيــتُ وتُصْــبحُ

فقوله: (**إذا مَا اعتقدْتَ**)، من الاعتقاد، (**الدَّهْرَ**): أي طيلة حياتك، (**يا صَاحِ**): مُرَخَّمُ صاحِب، من باب الملاطفة والتودُّد، (**هذِه**): إشارة إلى هذه الأصول المذكورة في هذه المنظومة، (**فَأنتَ عَلى خَيْرٍ**): ومستمر على هدى، لتمسك بالمأثور، واعتقادك ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، (**تَبيتُ**): في أمن، مُطمَئِنَّ القَلب، (**وتُصْبحُ**): كذلك في أمن وأمان وطمأنينة، قد ألجأت ظهرك وأسندته إلى رُكن وَثِيق.

يقول ابن القيم[1]: «**التوحيدُ حِصْنُ اللهِ الأعظمُ الذي مَن دخَلَه كان مِن الآمِنين**».

وفي نسخة: (**تُـمْسِي وتُصْبحُ**)، أي: فما دمت متمسِّكًا بهذه الأصول فنهارُك خَيرٌ، ولَيلُك خَيرٌ، وحياتُك كلُّها خَيرٌ.

فإنَّ هذه العقيدة لا تُعتقدُ في مكان دون مكان، ولا في زمان دون زمان، لأنَّها لُبُّ الإيمان، وبما أنَّ الإيمانَ جَنَّةُ الدنيا التي مَن لم يدخُلْها لم يَدخُل جَنَّـةَ الآخرة، ومِن المعلوم أنَّ نَعيمَ جنَّةِ الآخرة لا يَفنَى، فإذا دَخَلها العبد لا يُفارِقُها أبدا، فكذلك يَنبغِي للمُسلِم ألاَّ يُفارِقَ جَنَّةَ الدنيا طِيلَةَ دَهرِه، وهي الإيمان والعقيدة الصحيحة.

فإنَّ هذه العقيدةَ المباركةَ، مصدر لكل خير، إذ هي:

1- «بدائع الفوائد» (2/ 245).

- **أساس الدين**، وروح المِلَّة، وعليها مدار قبول الأعمال، وزكاة القلب.
- **ومصدر القوة القلبية**، فإنَّ العقيدة الصحيحة خير دافع ومحرك للعمل.
- **وأمان من الوقوع في البدع والضلالات.**
- **وعصمة من سوء الخاتمة**، والموت على دين أهل الشهوات والشبهات.
- **وسبب الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة**، فعلى قدر تحققها في القلب وترجمتها عمليا في واقع الحياة يحصل للعبد من ذلك نصيبه في الأمن والاهتداء.

أهلُ الباطل يريدون إضعافَ أهل السنة ببث الشائعات والتُّهم بينهم

قال الناظم في آخر هذه القصيدة المباركة: «**هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم ممن بلغنا قوله، فمن قال عليَّ غيرَ ذلك فقد كذَب**».

فقد اتُّهِمَ الناظم أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى بالنَّصب[1]، أي: بنَصب العِداء لآل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فبيَّن في هذه المنظومة الرائقة أن عقيدته هي عقيدةُ المسلمين، وهي عقيدةُ الصحابة والتابعين، وهي عقيدةُ الأنبياء والمرسلين، في مسائل صفات الله جل وعلا وأسمائه، وسائرِ مباحث الاعتقاد والأمور الغيبية.

فمن قال على المصنِّف **غيرَ ذلك فقد كذَب** وافترى عليه، ولا أدلَّ على ذلك من هذه «المنظومة الحائية» التي كتب الله لها القبول بين المسلمين.

يقول شيخ الاسلام[2]: «وكلام الله ورسوله وكلام العلماء مملوء بما يَفهم الناس منه معنى فاسداً، فكان العيب في فهم الفاهم لا في كلام المتكلم الذي يخاطِب جِنسَ الناس». انتهى.

ولما عَـرَض ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن ضَل من المنتسبين للعلم والزهد، قال[3]: «فأول عقوباتهم: إعراضهم عن الحق شغلا بالخلق. ومن خفِيِّ عقوباتهم: سلب

1- وممن دافع عن الناظم بحجة وإنصاف العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» (2/ 516-524).

2- «الرد على البكري» (ص 342).

3- «صيد الخاطر» (ص 27).

حلاوة المناجاة، ولذة التعبُّد...». انتهى.

وقال ذَهبيُّ العصر العلامة المُعَلِّمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم، من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل، **حسدا منه لهم، ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس**...». انتهى. والكلام في هذا الباب يطول، وفيما ذكَرتُ كِفاية لمن أراد أن يَعتَبِر.

وفي آخر هذا الشرح، أقول كما قال الناظم أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**هذا قولي، وقولُ مشايخي من أهلِ السنة ممن أدركت، وممن بلغني النقل عنهم، فمن نَسَب إليَّ غيرَ هذا، فقد كذَب**».

أسألُ اللهَ أن يُحيِيَني وإياك –أيها القارئ– على التوحيد والسنة، وأن يتوفانا على التوحيد والسنة، وأن يحشرنا في زمرة المتقين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُنَ أولئك رفيقا. آمين.

وكـتـب

الصـغـيـَّر بـن عَـمَّـار

1- «القائد إلى تصحيح العقائد» (ص 13).

فهرس الموضوعات

مقدمة المختصر 1
نص المنظومة 2
بداية المختصر 4
مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة 4
مسألة الكلام 7
التحذير من مذهب الواقفة في كلام الله 8
التحذير من مذهب اللَّفظية والألفاظ المجملة عامة 10
صفة التجلي ورؤية الله يوم القيامة 11
صفة اليدين لله سبحانه 15
صفة النزول لله سبحانه 17
عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام 21
حرمة الطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ 25
الإيمان بالقدر 28
الإيمان اليوم الآخر 29
فتنة القبر وسؤال الملكين 29
حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 31
الميزان يوم القيامة 32
إخراج المُوَحدين من النار إلى الجنة 34

شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة 36

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه 37

الإيمان بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم 40

التحذير من تكفير المسلمين بغير حق 40

التحذير من عقيدة الخوارج 42

التحذير من عقيدة المرجئة 45

الكلام على حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة وتفاضل أهله فيه 48

التحذير من اتباع الرأي والقدح في أهل الحديث 51

التحذير من الطعن في أهل الحديث والأثر 55

خاتمة الشرح 56

أهلُ الباطل يريدون إضعافَ أهل السنة ببث الشائعات والتُّهم بينهم 58

فهرس الموضوعات 60